

دور الشريعة الإسلامية في الحفاظ على البيئة

المهندسة: حورية بن شاطر

مهندسة بوزارة البيئة وتهيئة الإقليم والسياحة

فالبيئة هي المكان الذي نعيش فيه وقد خلقها الله للبشرية جمعاء، ولا يجوز لأي فرد أن يحدث فيها فسادا أو يبدل صالحا بفساد، أو يجور فيأخذ أكثر من نصيبه.

وقد أرست الشريعة الإسلامية مجموعة من المبادئ والقيم التي تعتبر من أهم الإجراءات الوقائية للحفاظ على البيئة البشرية ويتمثل ذلك في عناية الإسلام بطهارة الإنسان ونظافته بدعوته إلى تنظيف الجسد والثياب.

كما أن الدين الإسلامي ينهى عن التعرض للبيئة وتلويثها، فقد نادى إلى ضرورة تنظيف المكان وتنقيته من كل أنواع الأذى، ودعا إلى الاقتصاد والابتعاد عن الإسراف والتبذير والحفاظ على كل الكائنات الحية وحمايتها من الانقراض.

وتكمن قوة الشريعة الإسلامية في

تهدف الشريعة الإسلامية إلى الحد من الفساد وإبعاد الضرر عن العباد وتحصيل المنافع، فقد نهى ديننا الحنيف عن الفساد بكل صوره، ولم يقتصر على الجانب الأخلاقي أو الاجتماعي فقط، بل يتناول الفساد البيئي أيضا، فالله تعالى أتقن خلق الكون كما قال في كتابه العزيز: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ النمل: ٨٨، ونهى سبحانه عن الفساد في الأرض فقال: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ الأعراف: ٨٥، كما قال: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٣٠.

هو السلوك والخلق، حيث يذكر أن امرأة دخلت النار في قطة حبستها، وأن رجلاً دخل الجنة في كلب سقاه.

كما نظر ديننا الحنيف إلى البيئة كشيء وجب الحفاظ عليه، حيث ينص القرآن الكريم على أن الحيوانات والجبال والأشجار والأنهار (العناصر الحية والغير حية للبيئة) تسجد لله تعالى مثل الإنسان المؤمن وأنها تسبح كلها للمولى عز وجل.

يرى بعض العلماء أن الكون (البيئة) آية من آيات الله يجب على الإنسان التفكير فيه والتمتع بجماله وتنميته، وهو نعمة تستوجب الشكر والمحافظة عليها، لأن كل شيء في البيئة دليل على بديع صنع الخالق.

وإذا رجعنا إلى علم الفقه وأصوله، فإننا نلاحظ أن البيئة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بهذا العلم، فقد سن الفقهاء جملة من القواعد في هذا الشأن، كما أتاح الإسلام للمسؤولين فرض عقوبات لمن يلحق ضرراً بالبيئة.

من أبرز الشخصيات الإسلامية التي تطرقت إلى هذا الموضوع، الدكتور يوسف القرضاوي الذي يرى بأن

كونها تسعى إلى كل ما يحقق السعادة الشاملة للإنسان على الأرض ولكل الأجيال، ولا يتسنى للإنسان أن يكون سعيداً ومطمئناً إلا إذا تعامل مع بيئته التي أنعم الله بها عليه "إيجابياً، وحافظ عليها من التلوث بجميع أشكاله.

أما الإنسان الذي يعيش في الأرض فساداً ويسرف في استغلال الموارد الطبيعية ويلحق أضراراً جسيمة بالبيئة، فيكون قد أضرب بنفسه وعرض الإنسانية جمعاء إلى ما لا تحمد عقباه.

و الإسلام دائماً سباق إلى حث الأفراد على المحافظة على بيئتهم، فنوه بعدم استغلالها استغلالاً سلبياً، كما في قوله ﷺ: "لا ضرر ولا ضرار".

كيف يرى الإسلام البيئة...؟

إن المتمعن في الإسلام عقيدة وشرعية، يجد أن المحافظة على البيئة لها علاقة وطيدة بعدد من العلوم الإسلامية وعلى رأسها، علم أصول الدين الذي يعتبر أن البيئة مثل الإنسان مكلفة بطاعة الله تعالى والتسبيح له.

وترتبط المحافظة على البيئة وحمايتها بعلم السلوك في الإسلام، باعتبار أن الدين

المحافظة على البيئة جزء لا يتجزأ من مقاصد الشريعة الخمسة وهي حفظ الدين والنفس والنسل والعقل والمال، فالمساس بالبيئة فيه إضاعة واضحة وأكيدة لمقاصد الشريعة الإسلامية.

وفي هذا الموضوع كتب قائلًا "إن البيئة خلقت مهياة لتحقيق مصلحة الإنسان وتوفير حاجاته، وأن الله تعالى خلقها بطريقة تفرض عليها أن تتكامل وتتعاون مع بعضها البعض، ومن ثم فالحفاظ على أن يؤدي كل من مكونات البيئة دوره المنوط به يعتبر أمراً شرعياً، وذلك حتى لا يحدث خلل في الكون".

التربية البيئية موجودة منذ ظهور الإسلام:

يتميز العصر الحالي بتفاقم غير مسبوق للمشكلات البيئية وما ترتب عنها من مخاطر تهدد حياة البشرية على سطح الأرض، وقد آن الأوان لتتحد كل القوى الفاعلة على جميع الأصعدة للتقليل من هذه المشكلات، مادية كانت كتلوث الماء وتلوث التربة. أو معنوية كالتلوث الاجتماعي و التلوث الخلقي والتلوث الثقافي.

وإذا سلمنا بأن التلوث المعنوي هو الأساس بل الأخطر على البيئة من كل

الأنواع الأخرى، فالجهات المعنية الرسمية وغير الرسمية مطالبة اليوم أكثر من أي وقت مضى بالاهتمام بهذا الموضوع أيما اهتمام.

إذا كانت التربية هي الأداة المثلى لتنشئة الأجيال الصاعدة تنشئة تربوية تتفق والقيم الأصيلة، وترسخ فيهم المبادئ الخلقية والاجتماعية التي تحث على حماية البيئة فإن للمؤسسات التربوية في المجتمع من مدارس و كليات وجامعات ومساجد، ودور للشباب، دوراً فعالاً في تحقيق هذا المسعى.

وانطلاقاً من هذا المبدأ ووعياً منها بالدور الفعال الذي تلعبه المؤسسات التربوية في المجتمع خاصة في مجال الحفاظ على البيئة، قامت الهيئات المكلفة بحماية البيئة في بلادنا وعلى رأسها وزارة تهيئة الإقليم والبيئة والسياحة، بعمية وزارة التربية الوطنية، بتسطير برنامج وطني لإدراج التربية البيئية في المناهج التعليمية لمختلف الأطوار، علماً أن هذه العملية انطلقت سنة 2002 وأدت إلى إنتاج وسائل بيداغوجية كأدلة المربي و دليل النادي الأخضر و كرايس التلميذ للتربية البيئية...، وضعت تحت تصرف المعلمين والمتعلمين و إنشاء نوادي خضراء مدرسية

تغيير الأوضاع البيئية الراهنة بالمساهمة في حل بعض المشكلات التي يعاني منها المواطنون كتفاقم النفايات، ندرة المياه، تدهور المساحات الخضراء في التجمعات السكنية.. لكي لا تصبح التربية البيئية شعارا يتغنى به المجتمع وتذكر في المناسبات، بل تتعدى ذلك الحد، هنا يبرز دور الإمام في التوعية والتحسيس بالمشاكل البيئية من خلال القيام بنشاطات من شأنها حماية البيئة والمحافظة على مكوناتها مثل:

- القيام بحملات التشجير مع المصلين بعد صلاة الجمعة الاشراف عليها.

- القيام بحملات تطوعية لتنظيف الأحياء والاشراف عليها.

- إبلاغ الهيئات المعنية بوجود تسربات في قنوات المياه وحث المصلين لفعل ذلك، على ضوء ما جاء به ديننا الحنيف.

- حث المصلين على تغيير الأوضاع البيئية السلبية اتباعا لقوله ﷺ " من رأى منكم منكرا فليغيره".

كما يعتبر المسجد منبرا لنشر أهداف التربية البيئية من وجهة نظر الإسلام الذي

وتنظيم دورات تدريبية في الجامعات. كما تعتبر هذه المبادرة رائدة في الوطن العربي وهي اليوم في طور التعميم على مستوى كل المدارس.

فعلى ضوء هذه التجربة تعزم وزارتنا تسطير برنامج تحسيسي يهدف إلى إبراز مكانة المحافظة على البيئة في الإسلام من خلال تفعيل دور المسجد في بعث ثقافة بيئية في المجتمع.

التربية البيئية الإسلامية و مفهومها:

أول ما نفتتح به هذه الفقرة هو تعريف التربية البيئية في الإسلام حيث تعتبر «ذلك النشاط الإنساني الذي يقوم بتوعية وتحسيس أفراد المجتمع بالمشاكل البيئية، وبتكوين القيم والمهارات البيئية وتنميتها على أسس إسلامية محضة واستظهار الغاية التي خلق الله الإنسان من أجلها». وعليه، يجب على الإنسان أن يتفاعل مع بيئته تفاعلا إيجابيا وأن يكون ذلك التفاعل شاملا لا يقتصر على زمان أو مكان.

دور الإمام في ترسيخ المبادئ البيئية الإسلامية:

من المفترض أن تجسد التربية البيئية في الميدان وذلك بالمشاركة الفعالة في

سلوك الفرد المسلم ليتكيف مع بيئته كالتكيف مع التغيرات الطبيعية والابتعاد عن المعتقدات الخرافية.

أما قيم المحافظة، فهي التي توجه سلوك الإنسان المسلم نحو المحافظة على مكونات البيئة مثل المحافظة على النباتات و الحيوانات و الثروات المعدنية.. باعتبارها من صنع الخالق كما توظف هذه القيم للمحافظة على نظافة البدن وصحته ونظافة المحيط وتوفير الهدوء والطمأنينة.

وقيم الاستغلال، هي تلك القيم التي تمكن الفرد المسلم من الاستغلال الأمثل لمكونات البيئة بالابتعاد عن الإسراف والتبذير والترف، وتجعله معتدلاً ومتوازناً في كل ما يقوم به، بدون إفراط ولا تفريط.

دون أن ننسى القيم الجمالية التي يفضلها بتذوق ويتمتع الفرد المسلم بالجانب الجمالي للبيئة، وفي هذا الصدد، يقول ﷺ: "إن الله جميل يحب الجمال".

ويقول جلّ مقداره في كتابه العزيز الحكيم: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْحَقُّ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالْذَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ

دعادائماً إلى الحفاظ على البيئة بالتركيز على:

- تنمية الوعي البيئي لدى الفرد المسلم بتزويده بالرؤية الصحيحة للبيئة ومكوناتها بما يحقق رسالته في الأرض باعتباره خليفة الله فيها ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾ البقرة: ٣٠.

- تنمية وتكوين القيم والاتجاهات والمهارات البيئية الإسلامية لدى الفرد المسلم، حتى يستطيع أن يسغل البيئة بشكل نافع ويواجه مختلف مشاكلها بعزم وإرادة.

أبرز القيم البيئية الإسلامية:

كيف يحقق الإنسان وظيفة الخلافة في الأرض؟ لا يتسنى للإنسان تحقيق مبدأ الخلافة في الأرض إلا إذا اتبع مجموعة من الأخلاق والقيم المستوحاة من أصولنا الإسلامية، حيث تكون هذه القيم عبارة عن موجّهات لسلوكه تجاه البيئة التي يعيش فيها.

ومن أبرز هذه القيم، قيم التكيف والاعتقاد، قيم المحافظة، قيم الجمال وقيم الاستغلال، المقصود بقيم الاعتقاد والتكيف تلك القيم التي من شأنها توجيه

يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ
خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ
الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِدَلِيلٍ أَكْثَرُهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿النمل: ٦٠ - ٦١﴾

وقال أيضا: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ
لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ
حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلَ الْكَبِيرَ مُوَاجِرًا
فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ﴾ النحل: ١٤.

هذه الآيات ما هي إلا دليل على عظمة
الخالق وروعة وجمال صنعه فقد خلق كل
شيء جميلا وأحسن خلقه.

مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ
عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٧- ٢٨﴾

كما يقول عز وجل : ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ
لِتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ
لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا
رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي
أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ أَنشَاءَ
وَهِيَ دُحَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أَنْتِنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا
قَالْنَا أَأَنْتِنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾﴾ فصلت: ٩ - ١١.

وقال تعالى : ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا
بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ
أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِدَلِيلٍ هُمْ قَوْمٌ

